النهار
الأربعاء 2018-10-03 العدد 26673

مارك فانكوونبرغ مشهديات تجريدية مجازية في "غاليري أليس مغبغب" أرواح تعرّت من الوجود لتقول بالريشة ما للغربة من وحشة

خمسة عشر عملاً فنياً بين لوحة ورسم، للفنان البلجيكي مارك فانكوونبرغ، حطت على جدران "غاليري أليس مغبغب"، كمن يتعرّى من كساء الحياة ليتجلّى على هذا الخط الواقف بين الهنا والهناك، بين الملموس واللامرئي.

مي منسى

ثمة شعراء يكتبون قوافيهم على الهواء، أمّا مارك فانكوونبرغ، فمن لوحة إلى أخرى، يدعونا إلى التأمّل في شبه كائنات، ينتعلون رمال الغربة ويمشون في اتجاه لا حدود له، على مساحات من القماش الأسمر، تغش المشاهد في البدء قبل أن يفتح كفّ يده ويتحسّس به ملمسها، لما توحيه له من رمال صحراوية، تعبر عليها تلك النفوس التائهة، خارج مدار الزمان والمكان.

من فضائل هذا الفنان، منح المشاهد حرية التعبير عما تمليه عليه اللوحة، من دون أن يفرض عليه اتجاهاً أو مدرسة. فالمعنى التشكيلي لكل لوحة لم تفرضه ريشة هذا الفنان الروحاني، كعملية معقّدة ينبغي لقارئها كشف غموضها، بل ثمةّ حوار يولد فوراً بين التحفة الفنيّة وبينه. أكثر من الحوار، ثمة رباط روحي، يجعل المتأمل في مسام اللوحة، عنصراً من الأجسام الهائمة في فضائها، حرّاً في انتعاله غبار القماشة السمراء أو مترقياً فوق المادة المحسوسة، وفي جميع الحالات، يتبيّن للزائر وكأنه وطئ آفاق اللوحة، ليغدو ذرّة من كيانها، وفي الآن نفسه لا يزال مشاهداً على أرض الغاليري. فمما لا شك فيه، هو أن الحالة الثنائية التي ينوجد فيها بين لوحات مارك فانكوونبرغ، إنما عائدة إلى حريّة التصرّف مع كل رسم، حريّة تنشله من القوقعة في تسمية واحدة لرؤى فنّان، كأنه بليونة الريشة وذوبان الألوان، وقشعريرات ضوئية منسابة بلا صراخ، أجاد دوزنة الحركة، فنخالها رقصاً، ونخال تجويد الصمت موسيقى، وما ارتجلته ريشته عناقاً بين جسدين، وما هو لدى هذا المتأمل في الكون سوى اتصال بين روحين.

بلغة التجريد كان تنقيبه عن الجسد في حركته الكوكبية في الفضاء. مفردات توجّت خمسة عشر عملاً: "الإختفاء"، "التداعي"، "الأفول"، "اللولب"، مفردات نعبر عنها لنعطيها ما أوحته لنا من أحاسيس، في أشكال، عمودية غالباً في اللوحات الشاهقة، أو مدعوكة بعضها ببعض في الرسوم النهمة، الشرهة، تمتص من وحشية الفرشاة لزوجة وخشونة. مدعومة بهذه العناوين، صرت أنصهر بكل عمل، لأتعرّف أبعد وأعمق إلى هذا الفنان الذي اختزل الوجود بضربة فرشاة.

فعلى الرغم من الحريّة التي اجتاحتني في تحليقي في فضاء مارك فانكوونبرغ التشكيلي، واعتمادي على مخيّلة، أرتني من خلال شفافية الألوان ورهافة حياكتها، شاعراً وراقصاً وموسيقيّاً، وكل ذلك حاضر في تقاسيم لوحته، كان لا بد أن أعترف بالتجريد، كمذهب في وجدان فانكوونبرغ الفني. تجريد خاص برؤاه أكثر من كونه مدرسة فنيّة، ذكّرني بالفنّان اللبناني الراحل جان خليفة الذي اختار التجريد وحمل شعاره عالياً. من مسافة أربعة عقود، عاد جان خليفة إلى البال فيما كنت أرمق ضربات فانكوونبرغ وعلاقته بين الخطوط والتعبير. مقال للناقد سمير الصايغ، كتبه عن جان خليفة في السبعينات، أضاء ما كنت في صدد البحث عنه لأدرك جوهر هذا الفنان البلجيكي: "عبر هذا التجريد، كان همّ جان خليفة، أن يرى فيه الآخرون، جان خليفة الإنسان والفنان والعاشق والغاضب والشاعر والراقص".

may.menassa@annahar.com.lb